معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 17/ العدد 2 (ديسمبر2022): ص.ص:730-746

دور آليات التحليل اللساني في الكشف عن جماليات السّبك القرآني
مقاربة لسانية نصّية لنماذج مختارة

The role of linguistic analysis mechanisms in revealing the aesthetics of Quranic casting.
A textual linguistic approach to selected models

مولود فوضيل*

جامعة تمنراست، مخبر العلوم والبيئة، الجزائر، mouloud201@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/18؛ تاريخ القبول: 2022/12/15؛ تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

لقد حاولت الدراسات اللسانية النصية الحديثة بآلية إجرائية أو بأخرى، استنطاق النص القرآني من بوابة اللغة، محاولةً بذلك الوصول إلى العلاقات الدلالية بين جميع أجزائه، والكشف عن جماليات بنائه، من خلال تحديد أدوات الترابط اللغوي التي تضمن للنص استمراره اللفظي وترابطه الدلالي، بحيث يمكن إجمال هذه الأدوات والآليات في مظاهر الاتساق والانسجام.

تتخذ الدراسة النص القرآني مجالاً تطبيقياً لها، وتروم الدراسة من خلال هذا البسط المعرفي إلى البوح بجماليات السبك القرآني، وبيان دور آليات الترابط اللغوي في توجيه الدلالة القرآنية، بالإجابة عن التساؤل الآتي: إلى أي مدى يمكن اعتبار آليات السبك القرآني عنصراً هاماً في الوصول إلى جماليات النظم القرآني والكشف عن دلالاته النصية؟ ولأجل مجابهة هذا التساؤل وتحليل النظم القرآني تحليلاً لسانياً نصياً، قمت بتوظيف المنهج الوصفي مع تفعيل آليات التحليل.

كلمات مفتاحية: جمالية الإحالة؛ جمالية الاستبدال؛ جمالية الحذف؛ جمالية الوصل؛ جمالية التكرار؛ جمالية التضام.

* المؤلف المرسل.

Abstract:

Modern textual linguistic studies have attempted, with a procedural mechanism or another, to interrogate the Qur'anic text from the language portal, in an attempt to reach the semantic relations between all its parts, and to reveal the aesthetics of its construction, by identifying the linguistic interrelationship tools that guarantee the text its verbal continuity and semantic interdependence, so that it can be summarized These tools and mechanisms in manifestations of consistency and harmony.

The study takes the Qur'anic text as an applied field for it, and the study aims, through this cognitive numerator, to reveal the aesthetics of Qur'anic casting, and to clarify the role of linguistic coherence mechanisms in directing the Qur'anic significance, by answering the following question: To what extent can Qur'anic casting mechanisms be considered an important element in reaching the aesthetics Quranic systems and reveal its textual connotations? In order to confront this question and analyze the Qur'anic systems in a textual and linguistic analysis, I have employed the descriptive approach with activating the mechanisms of analysis.

Keywords: aesthetics of referral; aesthetics of substitution; aesthetics of deletion; aesthetics of connection; aesthetics of repetition; aesthetics of cohesion.

مقدمة:

لقد كان مطلع القرن العشرين منعرجاً حاسماً في مسار الدراسات اللغوية الحديثة، ومطيةً لإظهار التطور الملحوظ المتمثل في نشوء فرع لساني جديد سمي بـ"لسانيات النص"، وهو علم قائم على تحليل وتحديد الأدوات والآليات الإجرائية التي تساعد على تشكل وانبناء وتماسك النصوص والخطابات، وتحديد دلالاتها، هذه الآليات والأدوات التي بدورها تميز النّص عن اللانص، ليجمع بذلك التحليل اللساني الحديث للنصوص بين الجوانب الشكلية والدلالية لها، فتتحقق فيها سمات ومعايير

النصية المعروفة؛ السبك والحبك والقصد والمقبولية والإخبارية والمقامية والتناص، ومن ثم خلق وظيفة تواصلية بين النص والقارئ.

تأتي هذه الورقة البحثية لتعالج السمات الجمالية لمظاهر الاتساق النصي في الاستعمال القرآني وفق المقتضيات التي أرسى دعائمها المنهج اللساني النصي، من خلال طرح التساؤلات الآتية: ما هي أهم الوسائل والآليات التي ساهمت في التماسك الدلالي والبناء النصي للقرآن الكريم؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبارها عنصراً هاماً في بناء نصٍ متسقٍ معنى ومبنى؟ وما هو دورها في بناء وتوجيه الدلالة؟ وما هو دورها في الكشف عن السمات الجمالية للنظم القرآني؟ تكمل أهمية الدراسة في الوقوف على دور هذه الآليات والمظاهر الاتساقية في تحقيق الترابط والبناء الشكلي والدلالي للنص القرآني، كما تسعى إلى تشخيص أهم السمات الجمالية له من خلال الإحالة والاستبدال والوصل والحذف والتكرار والتضام، وذلك باستخدام المنهج الوصفي الملائم لعرض ووصف المكونات النصية للقرآن، مع تفعيل آليات التحليل.

المبحث الأول: التحليل اللساني النصي مفهومه وغاياته:

تجدر الإشارة في البداية إلى الوقوف على الإطار المفاهيمي للمنهج اللساني النصي، ومنه مفهوم لسانيات النص، ولسانيات النص كعلم هي"ذلك الاتجاه اللغوي الذي يعنى بدراسة نسيج النص انتظاماً واتساقاً وانسجاماً، ويهتم بكيفية بناء النص وتركيبه، بمعنى أن لسانيات النص تبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في انبناء النص وتأويله"[1] كما تهدف لسانيات النص باعتبارها فرع من فروع علم اللسانيات إلى ما يلي[2]:

- وصف النصوص والخطابات نحوياً ولسانياً في ضوء المستويات اللغوية المعروفة.
- دراسة ما يجعل النص متسقاً ومنسجماً ومترابطاً بالتركيز على الروابط التركيبية والدلالية والسياقية.
- التمييز بين النّص واللانص من خلال مجموعة من الضوابط والمعايير.

(1) جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، ط01، 2015م، ص 17.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 17، 18، 19.

- الاهتمام بتعريف النص واستخلاص مكوناته ومرتكزاته التركيبية والدلالية والتداولية.
- الاهتمام بالجملة بوصفها وحدة صغرى والنص بوصفه وحدة كبرى.

ولقد تعددت تسميات علم لسانيات النص واختلفت في بعض الأحيان اختلافاً كبيراً، ولعل أكثر التسميات شيوعاً وتداولاً في مسار الدراسات اللسانية الحديثة ما يلي:

الشكل رقم (01) يمثل التسميات الأكثر شيوعاً للسانيات النصية.

المصدر: خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2015م، ص93.

المبحث الثاني: المقاربات اللسانية الحديثة وقراءة النص القرآني:

لقد حاولت المناهج اللسانية الحديثة جاهدة على اكتشاف بعض خصوصيات النصوص، إذ لم يعد الاهتمام في تحليل النص محصوراً في البحث في المستويات اللغوية المعروفة، ولكنه جاوز ذلك إلى اقتحام مستوى أكبر هو البنية العامة للنص، وهو التحليل الذي بدوره أن يقدم معايير "العلمية" و"الموضوعية" في الدراسة للنصوص[1]، كما أن المنهج اللساني النصي قادر على اكتشاف بلاغة الخطاب القرآني والوقوف على جماليته وقيمه البلاغية المتجددة[2].

ولأجل ذلك سعى لسانيو النص في وضع ما يمكن أن يحقق للنص نصيته

(1) ينظر: عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب – نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية، 2013م، ص10.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص18.

واستمراره اللفظي والدلالي، وذلك من خلال تحديد كل ما يسهم في انسجام النص وإحكام بنيته، وما يساعد على تفسير النص القرآني[1]، وذلك من خلال تلك المعايير النصية التي تضمن للنص مدلوله، وللمتلقي فهمه وتأويله.

للسبك دور مهم في خلق نص متكامل بنيةً ودلالةً، وإظهاره في صورته المتماسكة، والمتدبر للنص القرآني يجد أنه متماسك دلالةً وبنيةً من خلال ما اشتمل عليه من أجزاء نصية وعلاقات نحوية ومعجمية ودلالية بين العناصر المشكلة له، ليشمل بذلك سبك النص القرآني مستويات اللغة المختلفة؛ الصوتي والصرفي والتركيبي والمعجمي والدلالي، وهي المستويات التي أدرجها المنهج اللساني النصي ضمن ما يعرف بالسبك النحوي والمعجمي والصوتي، والذي تمثله العناصر الآتية: الإحالة والاستبدال والحذف والإسناد والتكرار والتضام والإيقاع وغيرها[2].

فقراءة النص القرآني بمقاربة لسانية نصية والبحث في مظاهر اتساقه وانسجامه، تسهم في دفع الشبهات التي دارت حول القرآن الكريم، وتساعد على فهم وتفسير وتأويل آياته وسوره، وتماسك النص القرآني في بنيته شكلاً ودلالةً لَهُو إعجاز قرآني من نوع خاص[3]، ذلك لأن البناء النصي والترابط الدلالي في نسق محكم هو المحك الذي تقاس به جودة النصوص.

المبحث الثالث: الإطار المفاهيمي للسّبك النصي (الاتساق)

يعتبر مصطلح الاتساق من أهم المصطلحات التي أولها لسانيو النص اهتماماً وعنايةً؛ لما له أثر بارز في ترابط النصوص، والنص المتسق هو ما ترابطت أجزاؤه، وتلاحمت بنياته وانسجمت بأدوات لغوية وتركيبية[4]، وقد تباينت مفاهيم الاتساق بتباين وتعدد المعاجم العربية ومن أشهرها لسان العرب لابن منظور الذي بيّن مفهومه

(1) ينظر: بوشيبة عبد القادر، لسانيات النص وآفاق قراءة النص القرآني، مجلة الإشعاع في اللسانيات والترجمة، جامعة سعيدة-الجزائر، ع08، جوان 2017م، ص 08.

(2) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص19.

(4) ينظر: جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، 2015م، ط01، ص71.

على النحو التالي:

"استوسق الإبل: اجتمعت، ووسق الإبل: طردها وجمعها، واتسقت الإبل واستوسقت: اجتمعت، وقد وسق الليل واتَّسق، وكل ما انضم، فقد اتَّسق، والطريق يأتسق، ويتسق إي ينضم واتسق القمر: استوى"[1].

فالاتساق لغةً حسب ابن منظور يخرج لمعانٍ عدة منها: الجمع والحمل والضم والانتظام والاستواء وغيرها.

أما اصطلاحاً: فهو مصطلح استعمله هاليداي ورقية حسن للإشارة إلى مجموعة من الروابط التي تتحكم في تنضيد الجمل وتماسكها وترابطها لغوياً وتركيبياً[2]، لتكوّن بذلك نصاً متسقاً في بنيته الدلالية والتركيبية.

فالاتساق معيار نصي يتصل برصد الوسائل التي تضمن الاستمرار الدلالي في عالم النص[3].

المبحث الرابع: مظاهر وآليات الاتساق النصي ودورها في الكشف عن جماليات السبك القرآني

المطلب الأول: الإحالـة

01- مفهوم الإحالة: تعتبر الإحالة الإكسير الذي يحيل إلى الترابط أو التماسك النصي والعلاقات الدلالية بين الجمل، ومن ثمة فهي الآلية الإجرائية التي تثبت نصية النصوص، ويعتبرها محمد خطابي "تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"[1]. وقد استعمل "هاليداي ورقية حسن" مصطلح الإحالة استعمالاً خاصاً؛ وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات

(1) ابن منظور، لسان العرب،دار النوادر، ج01، ص 4284، 4285.

(2) ينظر: جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص 68.

(3) ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م، ص90.

(1) محمد خطابي، لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991م، ط01، ص17.

المقارنة[2]، فهما بذلك يشيران إلى أشكال الإحالة ووسائل التعبير عنها.

2- أنواع الإحالة: تنقسم الإحالة حسب منظور الباحثين – هاليداي ورقية حسن – إلى نوعين رئيسين هما[3]:

- **إحالة مقامية:** ويمثلها السياق الخارجي للنص، ولا يتم هذا النوع من الإحالة إلا بمعرفة الأحداث وسياق الحال، والمواقف التي تحيط بالنص أو الخطاب حتى يمكن معرفة الشيء المحال إليه.[4]

- **إحالة نصية:** وهي إحالة تكون داخل النص، وتتحقق بالوسائل الاتساقية التالية:

بالضمائر حيث أن توظيف الضمائر داخل النصوص لهو دليل على وجود ترابط دلالي داخلي، فبدون الضمائر تبقى الجمل متناثرة هنا وهناك لا رابط يربطها، ومن ثمة فالضمير يشكل جسراً بين الجمل المتناثرة،[5] كما نجده يلعب دوراً اتساقياً هاماً يكمل في تجنب التكرار.

يقوم الضمير مقام اللفظ الظاهر، فيغني عن تكراره، ويصل الجمل ببعضها البعض، ويحيل ما هو لاحق على ما هو سابق، فيربط آخر الكلام بأوله، والقرآن الكريم جاء على سنن العرب في نظم الكلام، فاستعمل الضمير بحسب لسانهم، ومن إحالات ودلالات الضمير في السياق القرآني لسورة النساء؛ أنه يدل على الاسم الذي يرجع إليه الضمير، فيضمر ثقة بفهم السامع وعلمه نحو قوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيهِ لِكُلِّ وَٰحِد مِّنهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾[1] فالضمير هنا يعود على الميت ولم يتقدم له ذكر.

وقد يدل السياق الضميري على بعض ما تقدم نحو قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاء﴾[2]،

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 16،17.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 17.

(4) ينظر: لعرباوي نورية، أثر الترابط النصي في فهم الدلالة- سورة الأعراف أنموذجاً، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، وهران، 2012م،ص67.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص 67.

(1) سورة النساء، الآية 11.

(2) سورة النساء، الآية 11.

وهو بعض من كل، وهو يعود على قوله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوۡلَٰدِكُم﴾[3]، فالضمير يحيل لأمور عدة، تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال[4].

كما تعد أسماء الإشارة إحدى وسائل الاتساق الإحالية، إذ يتمثل دورها في كونها تقوم بالربط القبلي والبعدي، وتكون أسماء الإشارة في الغالب محيلة إحالة قبلية، إي أنها تربط جزء لاحق، بجزء سابق، ومنه قوله سبحانه: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾[5]، فالإحالة هنا هي إحالة بعدية تحيل إلى لاحق بعدها وهي حدود الله.

ومن خلال ما سبق يتضح أن الإحالة تتخذ شكلين هما:

- إحالة قبلية وذلك حينما تحيل إلى سابق أو متقدم قبلها.
- إحالة بعدية وذلك حينما تحيل إلى لاحق أو متأخر بعدها.

3- دور الإحالة النصية في الكشف عن جماليات النصوص:

لأجل الوصول إلى جماليات النصوص عن طريق آلية ومظهر الإحالة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر مقطع من خطبة فاطمة الزهراء وهي تتحدث عن أبيها النبي المرسل -محمد صلى عليه وسلم- داعياً إلى التوحيد، قائلةً: "فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكَّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمد صلى الله عليه وسلم ظُلَمَها، وكشف عن القلوب بُهَمها، وجَلّى عن الأبصار غُممها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم"[1].

فمن الملاحظ من خلال السياق أن الإحالة التي حواها هي إحالة نصية قبلية، بدليل ما اشتمل عليه من ضمير متصل (ها) بشكل متكرر، يعود على لفظ المحال إليه (الأمم)،

(3) السورة نفسها الآية نفسها.

(4) ينظر: إسلام ويب، الضمير في القرآن الكريم، islamweb.net. 11 مارس 2022م.

(5) سورة النساء، الآية 13.

(1) أحمد موفق مهدي حسين، الإحالة وأثرها في التماسك النصي، مجلة تسليم، العراق، م 09، ع17، 2021م، ص 116

أضف إلى ذلك أن لفظة الأمم لفظة قبلية متقدمة الذكر، فهذه الإحالة "حدَّت النص، وجعلته نصاً متماسكاً متصلاً بعضه ببعض، بصورة واضحة وسهلةٍ بعيدة عن التعقيد، بل هذه الإضافة أضفت موسيقى جميلة للنص، وهذه الموسيقى تطرب الأذهان لتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى الأمم فرقاً وأدياناً مختلفة ومتنوعة، فمنهم اليهود والنصارى، والصائبة والملاحدة والوثنيون والزنادقة والمجوس وغيرهم....."[2]

ومن ثمة يتضح بأن توظيف الضمائر بأنواعها متصلة كانت أو مستترة أو منفصلة، يخرج لأداء دلالات نصية مختلفة، وغايات فنية جمالية مستهدفة.

المطلب الثاني: الاستبدال

يعرِّف "محمد خطابي" الاستبدال بقول:" الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[3]، وبصيغة أخرى هو:" علاقة تتم في المستوى النحوي – المعجمي بين كلمات أو عبارات....معظم حالات الاستبدال النصي قبلية إي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم"[4]،فالمفهوم من خلال التعريفين السالفين الذكر أن الاستبدال هو تلك العلاقة القبلية التي تتم داخل النص الواحد؛ من خلال استبدال عنصر بعنصر آخر.

وينقسم الاستبدال إلى ثلاثة أنواع هي[5]:

- استبدال اسمي.
- استبدال فعلي.
- استبدال قولي.

كما يمكن للاستبدال أن يساهم في اتساق النص بطريقة أو بأخرى من خلال تلك العلاقة بين العنصرين أخص بالذكر المستبدَلُ والمستبدِلُ، وهي بذلك علاقة بين

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) محمد خطابي، لسانيات النص، ص 19.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، ص 20.

عنصر سابق في النص وعنصر لاحق فيه، ومن ثم خلق علاقات دلالية بينهما من غير تكرار أو إخلال بالمعنى[1].

1- جمالية الاستبدال القرآني:

نضرب مثالاً عن ذلك من خلال الاستبدال بحرف الجواب (نعم) في سياق الاستعمال القرآني، "فحرف الجواب (نعم) حرف بديل يكتفي بذكره عن إعادة الجملة، إذ يقع موقعها ويغني عن تكرارها"[2] بدليل ما ورد في سياق الآية القرآنية الآتية:﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]

هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ⟵ نعم وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً⟵ نعم

فالمتدبر للآية الكريمة يجد بأن (نعم) قامت مقام الجملة وأغنت عن تكرارها وحصل بها الربط وتمت الفائدة بها في سبك ونظم نصي محكم، في حين أن حرف الجواب (لا) والتي هي (نقيضة نعم) والتي تنوب مناب الجمل وتقوم مقامها، لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، أضف إلى ذلك أن حرف الجواب (نعم) أفاد التصديق المطلق لجواب الخبر في سبك قرآني متكامل بعيد عن تكرارها، وحققت تماسكاً بديعاً بين الجملتين[1].

المطلب الثالث: الحذف

يعرف الباحثان "هاليداي ورقية حسن" الحذف على أنه "تلك العلاقة التي تتم داخل النص، والتي عادة ما تكون قبلية، ويكمل الفرق بين الاستبدال والحذف كون أن المحذوف لا يحل محله شيء، كما يؤكد الباحثان على أن البحث عن دور الحذف الاتساقي ينبغي أن يتم على مستوى العلاقة بين الجمل لا على مستوى الجملة

(1) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) سعاد إحميد عمر الرداد، الاستبدال النحوي في السبع الطُوَل من القرآن الكريم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الزاوية، 2021م، ص72.

(3) سورة الأعراف/ الآية 44.

(1) ينظر: سعاد إحميد عمر الرداد، الاستبدال النحوي في السبع الطوّل من القرآن الكريم، المرجع السابق، ص73.

الواحدة"[2]، ذلك لأن الاتساق المقصود هو تلك العلاقات الدلالية التي تكون بين الجمل لا العلاقات التركيبية التي تتم على مستوى الجملة الواحدة.

لقد قسم الباحثان الحذف إلى ثلاثة أقسام لا تختلف عن نوعي الاستبدال وهي[3]:

- **حذف اسمي**؛ وهو عبارة عن حذف اسم داخل المركب الاسمي، ولا يكون إلا في الأسماء المشتركة، مثل: (أي قبعة ستلبس؟ هذه هي الأحسن).

- **حذف فعلي**؛ وهو عبارة عن حذف يتم داخل المركب الفعلي، مثل:(هل كنت تسبح؟ نعم، فعلت).

- **الحذف الشبه جملي**؛ وهو عبارة عن حذف يتم داخل شبه الجملة، مثل: (كم ثمنه؟ خمسة جنيهات).

أثر الحذف في الكشف عن جماليات النص القرآني:

ومنه قوله عز وجلّ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۗ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[4].

وقوله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[1].

فالمتدبر للآيتين الكريمتين يجد تبايناً بينهما يكمل في الحذف الذي حوته الآية الثانية، والذي يتمثل في حذف (لكم) بعد: ﴿فَمَن يَمۡلِكُ﴾ في آية المائدة وأثبت في آية الفتح، والسر الجمالي في ذلك هو أن آية المائدة عامة في المسيح وأمّه، ومن في الأرض جميعاً، فليس هناك مخاطب خاص يحتاج فيه إلى زيادة ما يفهم منه التخصيص، فحسن

(2) محمد خطابي، لسانيات النص، ص22.

(3) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) سورة المائدة / الآية 17.

(1) سورة الفتح/ الآية 11.

الحذف، أما آية الفتح فهي في قوم مخصوصين، ومن هنا تكمل أهمية وحضور الحذف في السياق القرآني، أضف إلى ذلك أن هؤلاء القوم المخصوصين هم أولئك الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية، فاحتيج فيها إلى زيادة (لكم) لتخصيصهم بالخطاب[2].

فما من لفظ مذكورٍ أو تقديرٍ محذوف له، سواءً كان حرفاً أو فعلاً أو اسماً أو جملةً أو شبه جملةٍ لم يكن اعتباطاً، وإنما خرج لأداء معنى وقيمة جمالية ما.

المطلب الرابع: الوصل

يرى "محمد خطابي" أن الوصل يرتبط بتحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم، ذلك لأن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة ، فهي بذلك تشكل بنية نصية ووحدة دلالية متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص[3].

قسم الباحثان "هاليداي ورقية حسن" الوصل إلى أربعة أنواع هي على النحو التالي[4]:

- الوصل الإضافي؛ ويتم بواسطة الأداتين "و" و "أو".
- الوصل العكسي؛ وهو نوع يعنى على عكس ما هو متوقع، ويتم بواسطة أدوات، مثل:"بل".
- الوصل السببي؛ وهو نوع يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، ويتم بواسطة أدوات النتيجة والسبب والشرط.
- الوصل الزمني؛ وهو نوع يتم بين جملتين متتابعتين زمنياً.

ومما يتضح من خلال الأدوات التي يتم بها الوصل أو الربط؛ أنها جاءت في الغالب على شاكلة حروف العطف، لطالما أنها تمثل الأدوات الإجرائية الأولى لتماسك

(2) ينظر: محمد شيباني، جماليات الذكر والحذف لشبه الجملة في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، مجلة جسور المعرفة، الشلف الجزائر، م07، ع03، 2021م، ص221.

(3) ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 23.

(4) المرجع نفسه، ص 23، 24.

النص بنيةً ودلالةً.

السمات الجمالية للوصل:

تتضح السمات الجمالية للوصل أكثر فأكثر في ثنائية مشهورة وهي:

- **التشاكل والتباين:** ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[1] فهناك تباين جملة (يقبض) مع جملة (يبسط) في المعنى، وتتفق الجملتان في الخبرية، فينشأ من خلال ذلك توتر بين البنيتين السطحية والعميقة نتيجة لما بينهما من تباين أو تضاد، وبهذا فإن التباين يعد سمة جمالية بارزة في مواضع الوصل، ولهذا جعل السكاكي من محاسن الوصل أن يقصد التجدد في إحدى الجملتين، والثبات في الأخرى، كما في قولهم(أقام محمد وأخوه مسافر) فالثبات لمس معاني الفعل الماضي(أقام) أما التجدد لمس معاني كلمة (مسافر)، بحيث نجد أن هذا التباين تارة متعلقاً بالبنية السطحية للجملتين، وتارة بالبنية العميقة لهما.[2]

إن هذه الثنائية وقعت بين جملتين بينهما اتحاد المسند والمسند إليه في كل من جملتي الوصل، لكي يبرز لنا بعدها توازياً وتعادلاً محساً بين الصيغتين، لوجود تساوٍ في الكم العددي للحروف (يقبض ويبسط) حتى أصبحا كأنهما جناحي طائر قلبه حرف الوصل "الواو" ومن ثمة فإن هذه الثنائية أكسبت السياق التركيبي للجملتين طابعاً جمالياً تأثيرياً[1].

المطلب الخامس: الاتساق المعجمي

وهو آلية من آليات الترابط النصي، ويقسمه الباحثان "هاليداي ورقية حسن" إلى قسمين اثنين هما:

1- التكرار: وهو "شكل من أشكال الاتساق المعجمي عبارة عن إعادة عنصر

---

(1) سورة البقرة/ الآية 245.

(2) ينظر: عبد الرحيم الهبيل، تجليات الجمال في الفصل والوصل، منتدى معمري للعلوم (www.maamari-ilm2010.yoo7.com) ، 07 يناير 2010.

(1) المرجع نفسه.

معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً"[2] فالتكرار لا يقف عند حدود تكرار اللفظ بلفظه فحسب، بل قد يكرر مرادف اللفظ أو شبيهه.

السمات الجمالية للتكرار:

يلعب التكرار دوراً هاماً في بناء الدلالة النصية، ولما كان ذلك شهد التكرار حضوراً مكثفاً في النصوص والخطابات، ومن أمثلة التكرار المثل السائر:(دِسّي زينك لا ينشافْ، دِسّي شينك لا ينعافْ)، بحيث يتضح لنا بأن دلالة كلمة "دسّي" أقوى من دلالة كلمة أخفي أو أستري، إي أنّ الدَّس أقوى من الإخفاء، وهنا نجد النص القرآني استعمل كلمة الدّس في شأن الموؤودة، في قوله عزوجل: ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾[3] فاستعماله لكلمة الدَّس دون غيرها، ذلك لأنها عملية تتم في الخفاء، وهذا من حيث الوظيفة الدلالية، أما من حيث الوظيفة الصوتية فهي كلمة تنتهي بسين ممدودة، والسين هو صوت مهموس، فكأنه من خلال ذلك يريد أن يعظ بصوت خافت لا يسمعه غير المعني بالوعظ[1].

فسياق المثال وبنائه يجمع بين شيئين، جمال الصوت (حرف السين)، وشرف الدلالة (معنى الدّس)[2].

2- التضام: وهو "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[3] وإذا عدنا إلى النظم القرآني؛ فإننا نجد أن التكرار يتم على مستويين اثنين هما[4]:

- المستوى الأول: وهو اتساق الآية فيما بينها.

---

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) سورة النحل/ الآية 59.

(1) ينظر: علي بوعلام، جماليات التكرار وآلياته في التماسك النصي، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران1 الجزائر، 2017م، ص 47.

(2) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، ص25.

(4) لعرباوي نورية، أثر الترابط النصي في فهم الدلالة، ص 124.

- المستوى الثاني: اتساق الوحدات والأجزاء المختلفة للسورة.

جمالية التضام القرآني:

من بين الثنائيات الدالة على التقابل الكوني في الاستعمال القرآني لفظتي (السماوات / الأرض) في قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[5] فبالرغم من أن اللفظتين (السماوات / الأرض) لا تشكلان تقابلاً لفظياً مباشراً لأن العلاقة بينهما علاقة تنافر، إلا أنهما حققتا ترابطاً واضحاً، وإن كان هذا الترابط قصير المدى، ذلك لأنه لم يتجاوز حدود الآية الواحدة، أضف إلى ذلك أن هذا التقابل قوي أيضاً على إبراز العلاقة الدلالية المعنوية بين الطرفين (فوق وتحت) أو (أسفل وأعلى)[1].

فمن هنا تكمل أهمية هذا النوع من التقابلات اللفظية في تحقيق الترابط النصي، وإضفاء صبغة جمالية على النص القرآني.

المبحث الخامس: جمالية الاتساق البنائي للنص القرآني

لقد أسهمت الدراسة اللسانية النصية في البوح عن جمالية السبك القرآني من خلال العناية بدراسة العلاقات الكبرى بين أجزاء النص، وهي كفيلة بأن تجنب النص القرآني القراءة التجزيئية، وتقدم قراءة جامعة تنتظم فيه الكلمات والآيات والسور في سلك واحد، وتنتظم فيه المعاني والدلالات والمقاصد في أصل واحد، فيبدو النص القرآني كله قطعة واحدة، يكون فيها الكلام متحدراً تحدر الماء المنسجم، ويظهر هذا الاتساق والانسجام المحكمان من خلال سهولة السبك وعذوبة ألفاظ، وجمع معانٍ[2]، وهو ما سماه عبد الرحمن بودرع بالأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن الكريم، والذي أثبته النظم أو التماسك المحكم بين كل آية وآية وبين كل سورة وسورة[3]،

(5) سورة الشعراء/ الآية 24.

(1) ينظر: أمينة بن عبد الله، أثر الربط المعجمي في اتساق الخطاب القرآني، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزار، 2018م، ص170.

(2) ينظر: المرجع، ص 35.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص36.

فالاتساق عنصر هام ومساعد في الكشف عن جمالية السبك القرآني من خلال نظم وتناسب الآيات والسور القرآنية.

خاتمة:

بعد هذا البسط المعرفي لجملة من الآليات اللسانية النصية الإجرائية، ومحاولة استنطاق بعض آي القرآن الكريم، خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات، يمكن إجمالها في ما يلي:

- للإحالة النصية الضميرية دور هام في خلق موسيقى جميلة للنصوص، تطرب بها الأذهان وتجعل النص متماسكاً متصلاً ببعضه البعض، وبصورة واضحة بعيدة عن التعقيد.

- تلعب مواضع الوصل دوراً هاماً كذلك في إضفاء سمة الجمالية على النصوص والخطابات من خلال ثنائية التشاكل والتباين، ويكسب الوصل السياق التركيبي للجمل طابعاً تأثيرياً.

- يمكن للتكرار أن يجمع بين جمال الصوت وشرف الدلالة، فيؤدي بذلك وظيفة صوتية ووظيفة أخرى دلالية في آن واحد.

- لا يسهم الحذف في اتساق النص بشكل مباشر، ولكنه قد يظهر سمة التخصيص على بعض السياقات التركيبية للجمل داخل النصوص.

- يمكن للتضام المعجمي من خلال التقابلات اللفظية أن يشكل علاقات تنافر أو ترادف داخل المكونات النصية، فتسهم تلك العلاقات بشكل مباشر أو غير مباشر في إبراز العلاقات الدلالية، ومن ثمة فهي تساهم بشكل كبير في تحقيق الترابط النصي، وإضفاء صبغة جمالية على النص، تدرك من خلال مدلولات تلك التقابلات اللفظية.

- فبفضل مظاهر الاتساق يمكن الكشف عن جمالية السبك للنصوص أو الخطابات، كما تساعد بشكل مباشر أو غير مباشر في توجيه الدلالة للبناء النصي القرآني في نسيج محكم البناء.

ثبت المصادر والمراجع:

01- القرآن الكريم برواية ورش.
02- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة،ط01، 2015م.

03- خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2015م، .
04- عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب – نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية، 2013م.
05- بوشيبة عبد القادر، لسانيات النص وآفاق قراءة النص القرآني، مجلة الإشعاع في اللسانيات والترجمة، جامعة سعيدة-الجزائر، ع08، جوان 2017م.
06- ابن منظور، لسان العرب،دار النوادر، ج01، دس.
07- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة، 2001م.
08- محمد خطابي، لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1991م.
09- لعرباوي نورية، أثر الترابط النصي في فهم الدلالة- سورة الأعراف أنموذجاً، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2012م.
10- إسلام ويب، الضمير في القرآن الكريم، islamweb.net، 11 مارس 2022م .
11- أحمد موفق مهدي حسين، الإحالة وأثرها في التماسك النصي، مجلة تسيلم، العراق، م 09، ع17، 2021م.
12- سعاد إحميد عمر الرداد، الاستبدال النحوي في السبع الطُوّل من القرآن الكريم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الزاوية، 2021م.
13- محمد شيباني، جماليات الذكر والحذف لشبه الجملة في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، مجلة جسور المعرفة، الشلف الجزائر، م07، ع03، 2021م.
14- عبد الرحيم الهبيل، تجليات الجمال في الفصل والوصل، منتدى معمري للعلوم (www.maamari-ilm2010.yoo7.com) ، 07 يناير 2010.
15- علي بوعلام، جماليات التكرار وآلياته في التماسك النصي، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران1 الجزائر، 2017م.
16- أمينة بن عبد الله، أثر الربط المعجمي في اتساق الخطاب القرآني، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، 2018م.